**دراسة حالة 44**

**طقوس ومراسم شامانية**[[1]](#footnote-1)

نتناول في هذه الحالة عنصراً من التراث الثقافي غير المادي تتزعزع فيه وتتبادل الأدوار "التقليدية" للجنسين. فبعض عناصر التراث الثقافي غير المادي تمثل، باعتبارها تراثاً حياً، خطاباً تحويرياً أو انحرافياً، كما في الحالات التي تنعكس فيها وتتبادل الأدوار بين الشخصيات البارزة ذات السلطة والآخرين في معرض نقد موجه من قاعدة الهرم الاجتماعي إلى السلطة وحيث يُسَلَّط الضوء على القيود الاجتماعية المؤطرة لحياة الناس العادية. وبهذا النحو، يمكن للتراث الثقافي غير المادي أن يوفر مجالاً ثقافياً يصلح للتعبير عن مواقف اجتماعية بديلة لما هو سائد، وبضمنها المواقف التي تنسف التحيز الجنساني "التقليدي" والأدوار "التقليدية" المرسومة للجنسين. لذا فإن إعطاء قيمة تراثية لهذا النوع من التراث الثقافي غير المادي يمكن أن يشكل بحد ذاته وسيلة لتشجيع الاحترام للأقليات الجنسانية المهمشة ولثقافتها ضمن مجتمع الأغلبية السائدة.

وقد نشأت المراسم الموصوفة هنا في القرن السادس عشر كشكل من أشكال الفن الديني الذي كثيراً ما يُمارس خلال الطقوس الشامانية للوساطة الروحانية. وهو يجمع بين الغناء والرقص في حالة النشوة باستخدام عدة أنواع من الآلات الموسيقية التي تعزف أنغام وإيقاعات محددة وبوتائر مختلفة، على رأسها آلة العود القمرية الشكل. وتفيد هذه المراسم غرضين رئيسين: فهي تضع الوسيط الروحي في حالة نشوة تهيؤه للتفاعل والتمازج مع الآلهة وتوفر في الوقت ذاته المناخ الموسيقي الملائم لحركات وانفعالات هذا الوسيط. ويقوم رئيس المراسم بادئ ذي بدء بترديد بعض التعويذات والتعزيمات الموجهة للعالم السفلي داعياً الأرواح إلى القدوم والتجلي. وفي هذه الأثناء يكون الوسيط - وهو عادة من النساء - الذي سيتكلم بالنيابة عن الأرواح، جالساً على حصيرة مقابل المذبح. وعندها يقوم رئيس المراسم والفرقة الموسيقية بالعزف معاً لتشجيع الروح على الحلول في الوسيط وتقمصه، وحين يتم ذلك يعلم الوسيط رئيس المراسيم بهذا الأمر من خلال إيماءة خاصة. ويعتبر التحول الجنساني جزءاً لا يتجزأ من هذه الطقوس. فعندما يكون الوسيط امرأة وتحل فيها أرواح الذكور، تتقمص هذه الوسيطة أدوار الذكور وخصائصهم، فتصبح تارة من مشاهير العلماء وتارة من المحاربين الأشداء، أو من الأمراء اللاهين، أو الصبيان المشاكسين، وتلبس ملابس الذكور، وترقص رقصات حربية بالسيوف والرماح، وتستخدم لغة ذكورية، وتدخن السكائر وتشرب خمر الأرز. وتنقلب الأدوار أيضاً إذا كان الوسيط من الذكور وحلَّت فيه أرواح الإناث، فيصبح تارة امرأة جميلة وتارة أميرة رشيقة غير متزوجة، أو فتاة وقحة وصفيقة، ويتزيَّا بزي النساء ويكلل رأسه بغطاء زاهي الألوان، ويتكلم بصوت ناعم، ويرقص بأناقة مع المعجبين، ويمضغ التنبول ويقدم فاكهة غريبة. وهكذا تعبر هذه الطقوس عن التشابكات بين الجنسين والقوة/السلطة التي غالباً ما نجدها في الممارسات الروحية حيث يستخدم الممارسون مجموعة من الوسائل والأساليب لخلق مجتمعات روحية لا تؤدي إلى تراتبيات قائمة على نوع الجنس.

1. انظر:

   Barley Norton (2009)’Engendering mediumship,’ Songs for the Spirits - Music and Mediums in Modern Vietnam, University of Illinois Press at pp. 155-189; Philip Taylor (2007) Modernity and Re-Enchantment: Religion in Post-Revolutionary Vietnam, Singapore: Institute of Southeast Asian Studies. [↑](#footnote-ref-1)